أنبياء الله إسحاق وذو الكفل وهارون واليسع عليهم السلام وجهودهم في دعوة أقوامهم

د. إنعام محمد أحمد عثمان*

مستخلص البحث

الحمد لله وحده والسلام على من لا نبي بعده نبينا ورسولنا محمد -ﷺ- وعلى آله وصحبه. وبعد

لقد قامت الباحثة بهذا البحث الذي هو بعنوان أنبياء الله إسحاق وذو الكفل وهارون واليسع عليهم السلام. وقد قسمت البحث إلى مبحثين المبحث الأول عن إسحاق وذو الكفل عليهما السلام وتحدثت في هذا المبحث عن نسب إسحاق ونسب ذو الكفل عليهما السلام. والمبحث الثاني عن هارون واليسع عليهما السلام. وتحدثت في هذا المبحث عن نسب هارون عليه السلام ودعوة هارون عليه السلام وعن نسب اليسع عليه السلام. ومن أهم التوصيات أوصي الاهتمام بدراسة سير أنبياء الله.

* أستاذ مساعد بجامعة أم درمان الإسلامية كلية الدعوة الإسلامية قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

Abstract

Praise to Allah alone , and peace of Prophet Mohammed Nbebna and peace be upon him and Family and Companions.

The researcher conducted the research under the title Prophet of God Isaac Zulkifli Aaron Elisha peace upon them. She divided the research into two Chapters. She discussed in Chapter one Isaac Zulkifli peace upon them. She Spoke about the maternity of Isaac and Zulkifli peace upon them. Chapter two discussed Aaron Elisha peace upon them. she talked the maternity of Aaron and his dawa and maternity of Elisha. she came out with a very important recommendation Saying that we must take care of life of Prophets of God.

المقدمة :

أنبياء الله تعالى ، هم رُسله إلى البشر وهم أساساً بشر غير أنهم أنقى البشر.

حقيقة الأنبياء أنهم خير البشر ولكنهم في نهاية الأمر بشر يمشون في الأسواق ويأكلون الطعام ويعيشون ويموتون.

لا يختارون أنفسهم للرسالة ، لا يصلون إلى الرسالة نتيجة كسب وقصد أو جهد أو اختيار . إنما يختارهم الله. يختارهم لعلمه السابق أنهم أنقى من في الوجود ، وأفضل. تستوي في ذلك عقولهم وقلوبهم. بعدها يبعث إليهم رسالاته . ويضيفهم الله إلى نفسه تشريفاً وتكريماً. فيسميهم رُسل الله.

المبحث الأول

إسحاق وذو الكفل عليهما السلام

المطلب الأول :

نسب إسحاق عليه السلام :

إسحاق بن إبراهيم بن آزر.(٢)

وردت البشارة بإسحاق في عدة سور من القرآن الكريم ، قال الله تعالى هَٰذِهِۦ تَمَتَّعُواْ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ وَءَاتَىٰنِى فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَءَاتَىٰنِى وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ وَءَاتَىٰنِى قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن وَءَاتَىٰنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً وَءَاتَىٰنِى فَقَالَ يَنصُرُنِى سورة هود ، الآيات من ٦٩ إلى ٧٣.

يقول تعالى : (وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ) وهم الملائكة (إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ) قيل تبشره بإسحاق وقيل بهلاك قوم لوط ، ويشهد للأول قوله تعالى (فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ) (قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ) أي عليكم ، هذا أحسن مما حيوه به لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام (فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) أي ذهب سريعاً فأتاهم بالضيافة وهو عجل فتي البقر حنيذ مشوي على الرضف وهي الحجارة المحماة. (فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) تنكرهم (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) قال السُّدي لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صور رجال شباب حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه فلما رآهم أجلهم (تَمَتَّعُواْ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً فَقَالَ فذبحه ثم شواه في الرضف واتاهم به فقعد معهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول وامرأته

قائمة وهو جالس تَمَتَّعُواْ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ فَقَالَ قالوا يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن ، قال فإن لهذا ثمناً ، قالوا وما ثمنه؟ تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره (فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) يقول فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت سارة أنه قد أكرمهم وقامت تخدمهم ضحكت وقالت عجباً لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقوله تعالى إخباراً عن الملائكة (قَالُواْ لَا تَخَفْ) أي قالوا لا تخف منا إنا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم ، فضحكت سارة استبشاراً بهلاكهم لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم ، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد اليأس (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ) أي بولد يكون له ولد وعقب ونسل فإن يعقوب ولد إسحاق. (قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ) كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب (مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا) أي قالت الملائكة لها لا تعجبي من أمر الله فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فلا تعجبي وإن كنت عجوزاً عقيماً وبعلك شيخاً كبيراً فإن الله على ما يشاء قدير (تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً) أي هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود وممجد في صفاته وذاته.(٣)

قال تعالى : تَمَتَّعُواْ وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ وَءَاتَىٰنِي قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ وَءَاتَىٰنِي فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ وَءَاتَىٰنِي ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ وَءَاتَىٰنِي وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا وَءَاتَىٰنِي تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ وَءَاتَىٰنِي ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا وَءَاتَىٰنِي أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَءَاتَىٰنِي مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ وَءَاتَىٰنِي فَقَالَ . سورة الحجر ، الآيات من ٥١-٦٠.

(وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ وَءَاتَىٰنِي قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ) وهكذا عجلوا له البشرى. (فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ) فقد

استبعد إبراهيم في أول الأمر أن يرزق بولد وقد مسه الكبر (ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ) أي من اليائسين. فآب إبراهيم سريعاً ونفى عن نفسه القنوط من رحمة الله . (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا) وبرزت كلمة (الرحمة) وبرت معها الحقيقة الكلية: أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون. عن طريق الله الذين يستروحون روحه ، ولا يحسنون رحمته ، ولا يستشعرون رأفته وبره ورعايته فأما القلب الندي بالإيمان المتصل بالرحمن فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد ، ومهما ادلهمت حوله الخطوب ، ومهما غام الجو وتلبد ، وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر وثقل هذا الواقع الظاهر. فإن رحمة الله قريب من قلوب المؤمنين المهتدين. وقدرة الله تنشئ الأسباب كما تنشئ النتائج ، وتغير الواقع كما تغير الموعود.

وهنا وقد اطمأن إبراهيم إلى الملائكة وثابت نفسه واطمأنت للبشرى راح يستطلع سبب مجيئهم وغايته : (تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ).

يصل إخبار الملائكة له ، بالنبأ كله. ذلك أنه يصدق رحمة الله بلوط وأهله وعذابه لامرأته وقومه.(٤)

قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ وَءَاتَيۡنِي قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ وَءَاتَيۡنِي ﴿٧١﴾ فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة الذاريات ، الآيات من ٢٤ إلى ٣٠.

(بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ) خطاب للنبي -ﷺ- (سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ) وهي ملائكة (فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ) أي هذا اللفظ (رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ) لا نعرفهم قال ذلك في نفسه.

(تَصِلُ) مال (إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ) سراً (وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ وَءَاتَيۡنِي قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ) عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا (قَوۡمِ) أضمر في نفسه (لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا) إنا رُسل ربك (وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ) ذي علم كثير. (﴿٧١﴾ ٱمۡرَأَتُهُۥ) سارة (فِي صَرَّةٖ)

صيحة حال أي جاءت صائحة (ﭙ ﭚ) لطمته (وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) لم تلد قط (قَالُواْ كَذَٰلِكِ) مثل قولنا في البشارة (قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ مُخْتَلِفِ في صُنعه (ٱلۡعَلِيمُ) بخلقه.(٥)

فالغلام العليم هو إسحاق. والعليم اسم من أسماء الله الحُسنى ، وتدور لفظ العليم ، عليم وعليماً في القرآن كله ١٦٢ مرة منها ١٥٣ لا يطلق إلا على رب العزة ، وكلها تفيد الإحاطة بكل شيء والشمول لكل شيء والهيمنة على كل المخلوقات ، والخبرة بكل الكائنات الكليات منها والجزئيات ، الظواهر منها والغيبيات.

أما باقي المرات التسع للفظ عليم ، فقد دارت على البشر أجمعين بما يفيد التمكن والإحاطة بقدر الطاقة البشرية ، وبما يفيد دقة التخطيط والتطبيق العلمي والعملي والتكنولوجي والتنفيذ وبما يفيد الكيد والتخطيط الشرير والتلاعب بعيون الناس وأفكارهم ، والكذب والإفساد ، وبما يفيد عدم الاستقرار إلى بداية تعليمية ، وعدم الاطمئنان للوصول إلى نهاية علمية. وهذا الذي نستطيع فهمه الآن من دوران لفظ (ٱلۡعَلِيمُ) في القرآن على مختلف أفراد بين الإنسان.(٦)

وورد ذكره في جملة الأنبياء الذي يجب الإيمان بما أنزل إليهم ، قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة البقرة ، الآية :١٣٦.

وورد ذكره أيضاً هو وأبيه إبراهيم وولده يعقوب في عدا الرُسل الذين أمر النبي -ﷺ- أن يذكرهم لما لهم من شأن عظيم في مقام الدعوة والقدوة الحسنة فقال تعالى : تَمَتَّعُواْ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا وَءَاتَىٰنِي فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا وَءَاتَىٰنِي تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ وَءَاتَىٰنِي فَقَالَ .

سورة ص ، الآيات ٤٥-٤٧.

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين (ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا) يعني بذلك العمل الصالح والعمل النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة. عن ابن عباس –رضي الله عنهما- (ٱللَّهِ وَلَا) يقول أولي القوة (هَٰذَا) يقول الفقه في الدين.

وقوله تعالى : (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا) قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم غيرها ، وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها. وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها.

وقوله تعالى : (تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ) أي لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون.(٧)

المطلب الثاني :

ذو الكفل عليه السلام :

نسب ذو الكفل – عليه السلام- :

هو ذو الكفل بشر بن أيوب –عليهما السلام-.(٨)

أدخل الله ذا الكفل في رحمته. أثنى عليه كعبد صابر وذكره مع إسماعيل وإدريس.(٩)

قال تعالى : تَمَتَّعُواْ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة ص ، الآية :٤٨.

قال تعالى : تَمَتَّعُواْ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ وَءَاتَيْنِي مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة الأنبياء ، الآيتان : ٨٥ ، ٨٦.

عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال : لو أني استخلفت على الناس رجلاً يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل – فجمع الناس فقال : من يتقبل مني بثلاث استخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب.

قال : فقام رجل تزدريه العين فقال : أنا فقال : أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال نعم. قال فردهم ذلك اليوم ، وقال مثلها في اليوم الآخر ، فسكت الناس ، وقام ذلك الرجل فقال : أنا ، فاستخلفه.

قال : فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم.

قال : دعوني وإياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير ، فاتاه حين أخذ مضجعه للقيلة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة ، فدق الباب فقال : من هذا؟ قال شيخ كبير مظلوم. قال : فقام ففتح الباب ، فجعل يقص عليه ، فقال إن بيني وبين قومي خصومة ، وأنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا ، وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة فقال : إذا رحت فأتني آخذ لك بحقك. فانطلق وراح فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب ، فقال : من هذا؟ فقال الشيخ الكبير المظلوم. ففتح له فقال : ألم أقل لك إذا قعدت فأتني؟ قال إنهم أخبث قوم ، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا : نحن نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني ، قال : فانطلق فإذا أرحت فأتني. قال : ففاتته القائلة ، فراح ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله : لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شق عليّ النوم ، فلما كان تلك الساعة جاءه فقال له الرجل وراءك فقال : قد أتيته أمس فذكرت له أمري ، قال : والله ، لقد أمرنا أن لا ندع أحداً يقربه. فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا يدق الباب ، قال : واستيقظ الرجل ، فقال : يا فلان : ألم آمرك؟ قال : أما من قبل والله فلم تؤت ، فانظر من أين أتيت؟ قال : فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا هو معه في البيت فعرفه ، فقال : أعدو الله؟ قال : نعم ، أعييتني في كل شيء ففعلت كل ما ترى لأغضبك. فسماه الله ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوفى به.(١٠)

المبحث الثاني

هارون واليسع عليهما السلام

المطلب الأول :

نسب هارون عليه السلام :

هارون بن عمران بن قاهث بن عازد.(١١)

عن أنس بن مالك (إن رسول الله -ﷺ- حدثهم عن ليلة أسري به ، حتى أتى السماء الخامسة فإذا هارون ، قال هارون فسلم عليّ ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.(١٢)

وهو شقيق موسى –عليه السلام- وقد بعثه الله رسولاً مع موسى معيناً له في دعوته. وقد استجاب الله دعاء موسى حين طلب من ربه أن يجعل له هارون وزيراً ومعيناً في تبليغ الدعوة تَمَتَّعُواْ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَءَاتَيْنِي مِنْهُمْ خِيفَةً وَءَاتَيْنِي قَالُواْ لَا تَخَفْ وَءَاتَيْنِي أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة طه ، الآيات من ٢٩ إلى ٣٢.

فوهب له هارون وأعطاه النبوة رحمة منه جل وعلا. كما قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ رَّبِّي وَءَاتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة مريم ، الآية :٥٣.

وإذا ذكرت دعوة موسى ذكرت دعوة هارون مقرونة بها ، فقد أرسلا إلى فرعون وهامان وقارون ، وكانوا رسولين إلى بني إسرائيل.(١٣)

قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ وَءَاتَيْنِي رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَءَاتَيْنِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ وَءَاتَيْنِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَءَاتَيْنِي لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ وَءَاتَيْنِي أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ وَءَاتَيْنِي ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ وَءَاتَيْنِي وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَءَاتَيْنِي قَالُواْ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة الصافات ، الآيات من ١١٤ إلى ١٢٢.

يقول تعالى ذكره : ولقد تفضلنا على موسى وهارون وعمران ، فجعلناهما نبيين ، ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبودية آل فرعون ،

وقوله (ٱلَّذِينَ) يقول ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بإغراقنا لهم فكانوا هم الغالبين لهم.

عن قتادة (دِيَـٰرِهِمۡ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾) التوراة ويعني بالمستبين : المتبين هدى ما فيه وتفصيله وأحكامه.

وقوله (لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ) يقول تعالى ذكره : وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم الذي لا إعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه وقوله (أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ) يقول تركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما.

قوله : (أَلَا بُعۡدًا لِّثَمُودَ) يقول : وذلك أن يقال : سلام على موسى وهارون. وقوله (وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ) يقول هكذا نجزي أهل طاعتنا والعاملين بما رضينا عنهم. (قَالُواْ سَلَـٰمًاۖ قَالَ) يقول : إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.(١٤)

المطلب الثاني :

دعوة هارون عليه السلام :

قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًاۖ قَالَ سَلَـٰمٌۖ فَمَا وَءَاتَىٰنِي أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ وَءَاتَىٰنِي نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ وَءَاتَىٰنِي ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَـٰهَا بِإِسۡحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَـٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَءَاتَىٰنِي قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ وَءَاتَىٰنِي مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ وَءَاتَىٰنِيۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَـٰقَوۡمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا وَءَاتَىٰنِي فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ وَءَاتَىٰنِي دَارِكُمۡ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٍ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ وَءَاتَىٰنِي رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمۡ وَءَاتَىٰنِي ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ وَءَاتَىٰنِيۗ أَلَا بُعۡدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَءَاتَىٰنِي جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًاۖ قَالَ

سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ وَءَاتَىٰنِي رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ وَءَاتَىٰنِي قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ وَءَاتَىٰنِي يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ وَءَاتَىٰنِي فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ وَءَاتَىٰنِي ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَءَاتَىٰنِي خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ فَقَالَ .

سورة يونس ، الآيات من ٧٥ إلى ٩٣.

(لِّثَمُودَ ٦٨ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا وَءَاتَىٰنِي أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ وَءَاتَىٰنِي نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ وَءَاتَىٰنِي ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا) والآيات التي بعث بها موسى إلى فرعون وملئه هي الآيات التسع المذكورة في سورة الأعراف تلقي فرعون وملئه لآيات الله.

(قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا) . (أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩)

بهذا التحديد (ي ۑ) ليصور شناعة الجريمة فيما قالوه عن هذا الحق الصادر من عند الله (فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ) .

بهذا التوكيد المتبجح الذي لا يستند مع هذا إلى دليل. (رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ) كأنها جملة واحدة يتعارف عليها المكذبون في جميع العصور.

(نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ) . فالسحر لا يستهدف هداية الناس ، ولا يتضمن عقيدة ، وليس له فكرة معينة عن الإلوهية وعلاقة الخلق بالخالق ولا يتضمن منهاجاً تنظيمياً للحياة . فما يختلط السحر بهذا ولا يلتبس. وما كان الساحرون ليؤدوا عملاً يستهدف مثل هذه الأغراض ، ويحقق مثل هذا الاتجاه ، وما كانوا ليفلحوا وكل عملهم تخييل وتزييف.

وهنا ينكشف الملأ عن حقيقة الدوافع التي تصدهم عن التسليم بآيات الله.

(٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١) ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) وإذن فهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة ، التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي وهو الخوف على السلطان في الأرض ، هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات عقائدهم الموروثة أنها العلة القديمة الجديدة ، التي تدفع بالطغاة إلى مقاومة الدعوات ، وانتحال شتى المعاذير ، ورمي الدعاة بأشنع التهم ، والفجور في مقاومة الدعوات والدعاة إنها هي (الكبرياء في الأرض) وما تقوم عليه من معتقدات باطلة يحرص المتجبرون على بقائها متحجرة في قلوب الجماهير ، بكل ما فيها من زيف ، وبكل ما فيها من فساد ، وبكل ما فيها من أوهام وخرافات. لأن تفتح القلوب للعقيدة الصحيحة. واستنارة العقول بالنور الجديد ، خطر على القيم الموروثة ، وخطر على مكانة الطغاة ورهبتهم في قلوب الجماهير ، وخطر على القواعد التي تقوم عليها هذه الرهبة وتستند . إنها الخوف على السلطان القائم على الأوهام والأصنام وعلى تعبيد الناس لأرباب من دون الله. ودعوة الإسلام على أيدي الرسل جميعاً إنما تستهدف تقرير ربوبية الله وحده للعالمين ، وتنحية الأرباب الزائفة التي تغتصب حقوق الإلوهية وخصائصها ، وتزاولها في حياة الناس . وما كانت الأرباب المستخفة للجماهير لتدع كلمة الحق والهدى تصل إلى هذه الجماهير . ما كانت لتدع الإعلان العام الذي يحمله الإسلام بربوبية الله وحده للعالمين وتحرير رقاب البشر من العبودية للعباد ما كانت لتدع هذا الإعلان العام يصل إلى الجماهير وهي تعلم أنه إعلان بالثورة على ربوبيتهم والانقلاب على سلطانهم والانقضاض على ملكهم ، والانطلاق إلى فضاء الحرية الكاملة اللائقة بالإنسان.

إنها هي العلة القديمة الجديدة كلما قام من يدعو إلى الله رب العالمين.

خشي الملأ من قوم فرعون على سلطانهم في الأرض فقالوا متبجحين (فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) وتعلق فرعون وملئه بحكاية السحر ، وأرادوا أن يفرقوا الجماهير بها ، بأن يعقدوا حلقة للسحرة يتحدون بها موسى وما معه من آيات تشبه السحر في ظاهرها ليخرجوا منها في النهاية بان موسى ليس إلا ساحراً ماهراً. وبذلك ينتهي الخطر الذي يخشونه على معتقداتهم الموروثة وعلى سلطانهم في الأرض ، وهو الأساس.

(قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟).

وفي قول موسى (تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ) رد على تهمة السحر التي وجهت إليه. فالسحر هو هذا الذي يصنعه هؤلاء ، لأنه ليس أكثر من تخييل وسحر للأنظار لا هدف له إلا اللعب بالعقول ، لا تصحبه دعوة ولا تقوم عليه حركة. فهذا هو السحر لا آيات الله التي جاءهم بها حقاً من عند الله. وفي قوله (ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا) . تتجلى ثقة المؤمن الواثق بربه ، المطمئن إلى أن ربه لا يرضى أن ينجح السحر وهو عمل غير صالح (تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا) الذين يضللون الناس بالسحر ، أو الملأ الذين جاءوا بالسحرة بنية الفساد والإبقاء على الضلال (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾) كلماته التكوينية (فَمَا لَبِثَ) وهي تعبير عن توجه المشيئة ، أو هي كلماته التي هي آياته وبيناته.

(فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟) فإن كراهتهم لا تعطل مشيئة الله ، ولا تقف دون آياته.

(دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا

لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾) .

إن الذين اظهروا إيمانهم وانضمامهم لموسى من بني إسرائيل كانوا هم الفتيان الصغار ، لا مجموعة من الشعب الإسرائيلي . وأن هؤلاء الفتيان كان يخشي من فتنتهم وردهم عن إتباع موسى خوفاً من فرعون وتأثير كبار قومهم ذوي المصالح عند أصحاب السلطان والأذلاء الذين يلوذون بكل صاحب سلطة وبخاصة من إسرائيل. وقد كان فرعون ذو سلطة ضخمة وجبروت ، كما كان مسرفاً في الطغيان ، لا يقف عند حد ولا يتحرج من إجراء قاس. وهنا لا بد من إيمان يرجح المخاوف ، ويطمئن القلوب ، ويثبتها على الحق الذي تنحاز إليه : (رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ).

فالتوكل على الله دلالة الإيمان ومقتضاه . وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي فإذا هو أقوى واثبت . وقد ذكر لهم موسى الإيمان والإسلام. وجعل التوكل على الله مقتضى هذا أو ذاك مقتضى الاعتقاد في الله ، ومقتضى إسلام النفس له خالصة والعمل بما يريد.

واستجاب المؤمنون لهتاف الإيمان على لسان نبيهم : رَبِّي ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا) ومن ثم توجهوا إلى الله بالدعاء (فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا) والدعاء بألا يجعلهم الله فتنة للقوم الظالمين مقصود به ألا يمكن القوم الظالمين منهم ، فيظن القوم أن تمكنهم من المؤمنين بالله د ليل على أن عقيدتهم اصح ، ولذلك انتصروا وهزم المؤمنين ويكون هذا استدراجاً لهم من الله ليلجوا في ضلالهم. فالمؤمنون يدعون الله أن يعصمهم من تسلط الظالمين عليهم.

(ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾)

ودعاؤهم الله ألا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين ، وأن ينجيهم برحمته من القوم الكافرين ، لا ينافي الاتكال على الله والتقوى به ، بل هو أدل على التوجه بالاتكال والاعتماد إلى الله. والمؤمن لا يتمنى البلاء ولكن يثبت عند اللقاء.

أوحى الله إليه وإلى هارون أن يتخذ لبني إسرائيل بيوتاً خاصة بهم ، وذلك لفرزهم وتنظيمهم استعداداً للرحيل من مصر في الوقت المختار ، وكلفهم تطهير بيوتهم ، وتزكية أنفسهم والاستبشار بنصر الله.

(جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾) .

وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية ، وهما معاً ضروريتان للأفراد والجماعات وبخاصة قبيل المعارك والمشاق . ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية ، ولكن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة تنبي بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة ، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي كثيراً في ساعة الشدة.

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون فيها أسوة ، ليست خاصة ببني إسرائيل فهي تجربة إيمانية خالصة ، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي ، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت وفسد الناس ، وأنتنت البيئة ، وكذلك الحال على عهد فرعون في هذه الفترة وهنا يرشدهم الله إلى أمور اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها ، لتطهرها وتزكيها وتدربها وتنظمها حتى يأتي وعد الله لها.

اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي ، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح ، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور.

واتجه موسى عليه السلام إلى ربه وقد يئس من فرعون وملئه أن يكون فيهم خير ، وأن تكون قد بقيت فيهم بقية ، وأن يرجى لهم صلاح ، اتجه إليه يدعو على فرعون وملئه ، الذين يملكون المال والزينة ، تضعف إزاءهما قلوب الكثيرين ، فتنتهي إلى التهاوي أمام الجاه والمال وإلى الضلال واتجه موسى إلى ربه أن يدمر هذه الأموال وان يشد على قلوب أهلها فلا يؤمنوا إلا حيث لا ينفعهم إيمان. فاستجاب الله الدعاء.

(رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ).

(لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا) .

ينشأ عنها إضلال الناس عن سبيلك ، إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين. وإما بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم.

ووجود النعمة في أيدي المفسدين لا شك يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أن هذه النعمة ابتلاء واختيار ، وأنها كذلك ليست شيئاً ذا قيمة إلى جانب

فضل الله في الدنيا والآخرة. وموسى يتحدث هنا عن الواقع المشهود في عامة الناس. ويطلب لوقف هذا الإضلال ، ولتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء ، أن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها ، بحيث لا ينتفع بها أصحابها ، أما دعاؤه بأن يشد الله على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب ، ومن أن يكون لها توبة أو إنابة . دعاء بأن يزيدها الله قسوة واستغلاقاً حتى يأتيهم العذاب ، وعندئذٍ لن يقبل منهم الإيمان ، لأن الإيمان عند حلول العذاب لا يقبل ، ولا يدل على توبة حقيقية باختيار الإنسان.

(قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن) كتبت لهما الإجابة وقضي الأمر.

(كُنتُ) في طريقكما وعلى هداكما حتى يأتي الأجل (عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ) فيخبطوا على غير علم ، ويترددوا في الخطط والتدبيرات ، ويصيبهم القلق على المصير ، ولا يعرفوا إن كانوا يسيرون في الطريق الهادي أم هم ضلوا السبيل.

(يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ وَءَاتَىٰنِي فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي
دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ وَءَاتَىٰنِي ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا).

(يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ) بقيادتنا وهدايتنا ورعايتنا.

(عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا). لا اهتداء وإيماناً ولا دفاعاً مشروعاً ولكن (تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ) وتجاوزاً للحد وطغياناً.

ومن مشهد البغي والعدو مباشرة إلى مشهد الغرق في ومضة.

(﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ) وعاين الموت ، ولم يعد يملك نجاة.

(ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ).

لقد سقطت عن فرعون الباغي العادي المتجبر الطاغي كل أرديته التي تنفخ فيه فتظهره لقومه ولنفسه قوة هائلة مخيفة ، ولقد تضاءل وتصاغر فهو لا يكتفي بأن يعلن إيمانه بأن لا إله إلا الله الذي آمنت به بنو إسرائيل فيزيد في استسلام (فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ).

(فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ) الآن حيث لا اختيار ولا فرار؟ الآن وقد سبق العصيان والاستكبار ؟ الآن (ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ). لا تأكله الأسماك ، ولا يذهب منكراً مع التيار لا يعرف للناس ، ذلك ليدرك من وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك.

(مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا) . يتعظون بها ويعتبرون ، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب (نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا مِّن يَنصُرُنِي لا يوجهون إليها قلوبهم وعقولهم ، ولا يتدبرونها في الآفاق وفي أنفسهم.

(خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ).

والمبوأ مكان الإقامة الأمين. وإضافته إلى الصدق تزيده أماناً وثباتاً واستقراراً كثبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يزعزعه اضطراب المكذب وتزعزع الافتراء . ولقد طاب المقام فترة لبني إسرائيل بعد تجارب طويلة وتمتعوا بطيبات من الرزق حلالاً ، حتى فسقوا عن أمر الله فحرمت عليهم. اختلافهم في دينهم ودنياهم ، لا على جهل ولكن بعد أن جاء العلم ، وبسبب هذا العلم ، واستخدامه في التأويلات الباطلة.(١٥)

المطلب الثالث :

نسب اليسع عليه السلام :

هو اليسع بن أخطوب بن عدي بن شوتلم.(١٦)

وهو من أنبياء بني إسرائيل لم يذكر القرآن شيئاً عن حياته سوى ذكره في مجموعة من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم.(١٧)

قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ فَقَالَ يَنصُرُنِي

سورة الأنعام ، الآية : ٨٦.

قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا فَقَالَ يَنصُرُنِي سورة ص، الآية :٤٨.

عن ابن إسحاق قال : ثم نبئ فيهم بعد إلياس -اليسع- فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر فيه السكينة وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو.

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأس هرة ميتة فإذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون إلى غيره ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا ما عهد إليهم ، نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا فقوتلوا حتى استلب من أيديهم ، فأتى ملكهم إيلاف فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب فمالت عنقه فمات كمداً عليه ، فمرج أمرهم بينهم واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من أحوالهم يتمادون أحياناً في غيهم وضلالهم ، فسلط الله عليه من ينتقم به منهم ، ويراجعون التوبة أحياناً فيكفيهم الله عند ذلك شر من يغاهم سوءا حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ورد عليهم تابوت الميثاق.(١٨)

الخاتمة :

الأنبياء والرسل هم الذين اصطفاهم الله من بني البشر يحملون دعوته لعباده ، يبشرون من آمن منهم وعمل صالحاً بحسن الثواب والمكافأة في الحياة الدنيا والآخرة ، وينذرون من كفر وعمل سيئاً بالعقاب وسوء المصير.

قال الله تعالى : تَمَتَّعُواْ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ فَقَالَ . سورة الأنعام ، الآية :٤٨.

النتائج :

١. أن حياة الأنبياء هي التي يجدر أن تتخذ أسوة وأن سير الرُسل هي التي تستحق أن تكون قدوة لنبي آدم أجمعين من بين سائر الطوائف العليا من الناس.

٢. أن الأنبياء عليهم السلام قد قاموا بأعظم الانجازات الحضارية منذ فجر التاريخ ، كما أنهم قادوا حركات التنوير ، وتصدروا ثورات التصحيح ، والإصلاح بكافة صوره.

التوصيات :

١. أوصي الاهتمام بدراسة سير أنبياء الله.

٢. أوصي الاهتمام بالقرآن الكريم للتأمل والتدبر واستلهام الدروس والعبر فهو أصل العلوم.

فهرس الهوامش :

١. القرآن الكريم.

٢. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، ط٢ (السعودية : جدة ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والإرشاد ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص٥٩.

٣. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، ج٢ (بيروت : دار الفكر العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع ، ص٤٥١ ، ٤٥٢.

٤. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٢ ، ط١٠ (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص٢١٤٧ ، ٢١٤٨.

٥. تفسير الجلالين ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر ، جلال الدين محمد بن أحمد (بيروت : دار إحياء التراث العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع ، ص٦٩١.

٦. بنو إسرائيل في ميزان القرآن ، صابر طعيمة ، ط١ (لبنان : بيروت ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٩٧٥م) ص١٣٧ ، ١٣٨.

٧. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٤٠.

٨. مختصر انساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، مرجع سابق ، ص٧١.

٩. أنبياء الله ، أحمد بهجت ، ط٢٨ (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ، ص١٧٣.

١٠. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج٩ ، ط١ (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ص٧١.

١١. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، مرجع سابق ، ص٨٢.

١٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز ، ط١ (القاهرة : دار الحديث ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً) إلى قوله (بالوادي المقدس طوى) حديث رقم ٣٣٩٣ ، ج٦٧ ، ص٥١٤.

١٣. النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني (بدون ذكر تاريخ الطبع والنشر) ص٢٨٢ ، ٢٨٣.

١٤. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص٥١٩ ، ٥٢٠.

١٥. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٨١٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦.

١٦. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، مرجع سابق ، ص٨٨.

١٧. مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم ، عفيف عبد الفتاح ، ط٧ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٩م) ص٣٠٤.

١٨. تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج١ (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) بدون ذكر تاريخ الطبع ، ص٤٤٣ ، ٤٤٤.

فهرس المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم.

٢. النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني (بدون ذكر تاريخ الطبع والنشر).

٣. أنبياء الله ، أحمد بهجت ، الطبعة الثامنة والعشرون (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٤. بنو إسرائيل في ميزان القرآن ، صابر طعيمة ، الطبعة الأولى (لبنان : بيروت ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٩٧٥م).

٥. تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) بدون ذكر تاريخ الطبع.

٦. تفسير الجلالين ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر ، جلال الدين محمد بن أحمد (بيروت : دار إحياء التراث العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع.

٧. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (بيروت : دار الفكر العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الأولى (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز ، الطبعة الأولى (القاهرة : دار الحديث ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٠. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة العاشرة (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م).

١١. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، الطبعة الثانية (السعودية : جدة ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والإرشاد ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

١٢. مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم ، عفيف عبد الفتاح، الطبعة السابعة (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٩م).